



كلمة الدكتورة مارغريت تشان، المدير العام، أمام جمعية الصحة العالمية الرابعة والستين

السيد الرئيس، أصحاب السعادة، معالي الوزراء، حضرات المندوبين والأصدقاء من أسرة الأمم المتحدة، سيداتي وسادتي،

إنني أضطلع بمهام منصبتي هذا منذ خمسة أعوام تقريباً، وكنت أظن في بعض الأحيان أثناء الاجتماعات أن أتدخل وأقاطع لأوجه طلباً بسيطاً ألا وهو: تذكروا الناس.

فلا يجب أن ننسى الناس البتة. إن كل مداولاتنا ومناقشاتنا لا قيمة لها إلا عندما تؤدي إلى تحسين صحة الناس وتخفيف معاناتهم.

وأنا شخصياً عندما أذكر الناس الذين قابلتهم أثناء أدائي مهام منصبتي هذا تخطر على بالي مقابلتان لهما طبيعة خاصة.

ففي عام ٢٠٠٩ زرت أحد عنابر معالجة الملاريا في تنزانيا، وكان مكتظاً بالأطفال الصغار المرضى وأمهاتهم اللاتي كن ينظرن إليهم بقلق. وأمسكت بيد أحد الأطفال وكان مريضاً جداً وشعرت بمدى شدة قلق أمه عليه.

وربّت على كتف طفل آخر وهو ينهض، وكان في سبيله إلى التعافي بفضل ما أُعطي إليه من علاج سريع وناجع، وعندها شعرت بما كانت تشعر به أمه من سعادة وراحة.

وفي عام ٢٠١٠ زرت بنغلاديش وتحادثت وتعاينت مع مجموعة من السيدات هناك كن يشاركن في برنامج مجتمعي لتمويل الأسر الفقيرة.

وكانت مدعاة فخرهن هي توفير التعليم الجيد لأطفالهن ووضع الطعام السليم على المائدة وكسب عيشهن بأنفسهن والشعور باحترام الذات. ولمست منهن أنهن يتمتعن بالقوة والحزم وبروح من المرح في آن واحد.

وأنا أهدي كلمتي إلى تلك النساء وأولئك الأطفال.

سيداتي وسادتي،

إنني على يقين من أن كل فرد من الحاضرين في هذه القاعة يعمل من أجل تحسين الصحة. ولإن مررنا ببعض الأوقات العصيبة فإننا فخورون بسجل حافل بالإنجازات.

تذكروا الناس.

إن التهاب السحايا البكتيري ليس السبب الأول الذي يحصد الأرواح في أفريقيا ولكنه من بين الأمراض التي يخشاها الناس إلى أبعد حد. وهذا أمر لا يصعب فهمه: ف وراء هذا الخوف الإصابة المفاجئة بالعدوى وتطورها السريع لتصبح مرضاً عضالاً وهذه الأعداد الكبيرة من الناس التي تنتظر اللقاح بعد بداية الوباء.

وتكتمل هذه الصورة بالشوارع الخالية والوفيات التي تحدث والأسابيع التي يقضيها الوالدان وهم يسهران على أطفالهم في المستشفيات. وكذلك مشهد الأطفال الذين ينجون من الموت ولكن يصابون بعجز دائم من جراء الاضطرابات النفسية أو فقدان حاسة السمع.

إن شعوب أفريقيا تستحق ما هو أفضل من ذلك، وفي كانون الأول/ ديسمبر من العام الماضي تحقق لها ما تصبو إليه: فقد تم التوصل إلى لقاح جديد وناجح يمكن أن يقي من حدوث الأوبئة في نطاق انتشار التهاب السحايا البكتيري.

وفي مشروع تولى تنسيقه كل من منظمة الصحة العالمية وبرنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة، وحظي بالتمويل من مؤسسة بيل وميليندا غيتس، تم استحداث اللقاح في زمن قياسي وبتكلفة تتأهز عشر التكلفة التي يتطلبها عادة توصيل أي منتج من مرحلة استحداثه إلى مرحلة طرحه في السوق.

وهذا يدل على وجود اتجاه جديد يحظى بالترحيب. إن أفريقيا هي أول من استفاد من أفضل تكنولوجيا يمكن أن يتيحها العالم بفضل العمل الجماعي.

فتذكروا الناس المصابين بالسل المقاوم للأدوية أو بالعدوى المصاحبة لفيروس العوز المناعي البشري والذين كانوا يضطرون إلى الانتظار لمدة ثلاثة شهور قبل أن يتم تشخيص حالتهم على نحو يعول عليه.

وشهد العام الماضي العمل باختبار جديد للتشخيص السريع للإصابة بالسل، وهو أسرع وأكثر حساسية بكثير جداً ويعطي النتائج في غضون مائة دقيقة تقريباً. وبفضل إسراع المنظمة باعتماد هذا الاختبار حدث انخفاض فوري بنسبة ٧٥٪ في سعره للبلدان النامية. وبدأ نشر الاختبار في أكثر من ثلاثين بلداً بمساعدة منظمة الصحة العالمية وشركاء آخرين.

إن الإصابة بفيروس العوز المناعي البشري كانت تعني، قبل عقد من الزمان، الموت البطيء والمؤكد بعد صراع مؤلم غالباً بالنسبة إلى معظم المصابين في العالم النامي. واليوم هناك أكثر من ستة ملايين شخص، تعيش غالبيتهم العظمى في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، يتلقون مضادات الفيروسات القهقرية لعلاج الأيدز.

وعلى صعيد الوقاية لدينا الآن المبادئ التوجيهية العلاجية الجديدة التي وضعتها المنظمة والتي تفتح آفاقاً حقيقية لأول مرة من أجل خفض عدد حالات العدوى الجديدة التي تحدث سنوياً. وهناك مبادئ توجيهية جديدة أخرى توفر للعالم أول رؤية خاصة بولادة جيل من الأطفال يخلو من الإصابة بفيروس العوز المناعي البشري.

وفي الأسبوع الماضي أفاد باحثون من الولايات المتحدة بحدوث انخفاض هائل في سريان فيروس العوز المناعي البشري بفضل العلاج المبكر. وهذه النتائج تدعم بقوة المبادئ التوجيهية التي وضعناها.

وبعد سنوات من الركود يبدو الوضع فيما يتعلق بالمalaria أفضل وأكثر إشراقاً عاماً بعد عام، وخصوصاً في أفريقيا. وأتوجه بالتحية إلى أشخاص عديدين وجهات عديدة على هذا النجاح بما في ذلك الدعم الشخصي من الأمين العام للأمم المتحدة ومبعوثه الخاص، وشراكة دحر malaria، والمسؤولين الصحيين في البلدان التي تتوطنها malaria، وتحالف الزعماء الأفارقة لمكافحة malaria، وبالطبع برنامج مكافحة malaria التابع لمنظمة الصحة العالمية.

وبفضل الترصد المكثف اكتشفت أول علامات تدل على مقاومة دواء آرتميسينين على طول الحدود بين تايلند وكمبوديا. ووضعت بسرعة خطة احتواء دؤوبة. وهذه الخطة، إذا تم تنفيذها بالكامل لأمكن وقف استمرار انتشار هذه المقاومة للدواء.

وكانت مشكلة مقاومة مضادات الميكروبات هي موضوع يوم الصحة العالمي لهذا العام. وكانت الرسالة التي وجهناها عالية الصوت وواضحة. فالعالم على وشك أن يفقد علاجاته ذات الأثر المعجز. وقد أخفق العالم في التعامل مع هذه الأدوية الهشة بما تستحقه من عناية. ويُعد استعمال مضادات الميكروبات على نحو غير رشيد وغير ملائم هو أول أسباب مقاومة الأدوية دون منازع.

وفي وقت يشهد فيه العالم نكبات متعددة لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نرى الأدوية والعلاجات الأساسية التي تحتاج إليها ملايين عديدة من البشر وهي بصد أن تكون الأزمة العالمية القادمة.

ومن أجل التصدي لأمراض المناطق المدارية المنسية عقدت المنظمة بعضاً من أنجح اجتماعاتها على الإطلاق. وزاد الدعم المقدم لمكافحة هذه الأمراض زيادة كبيرة، وكان مقياس ذلك على وجه الخصوص هو التبرعات الضخمة بالأدوية من شركات الأدوية التقليدية وشركات الأدوية التي بدأت مؤخراً في تقديم الدعم.

وبنهاية عام ٢٠٠٩ تم الوصول بالمعالجة الكيميائية الوقائية لمرض واحد على الأقل من هذه الأمراض إلى نحو ٦٨٠ مليون نسمة يعيش معظمها في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وفي ظل الاتجاهات السائدة حالياً يمكن القضاء بحلول عام ٢٠١٥ على عدد من أمراض المناطق المدارية المنسية هذه التي تتسبب في معاناة هائلة بين البشر منذ القدم.

وعلى عكس كل التوقعات يبدو أيضاً أن مرض النوم الأفريقي البشري، وهو مرض يتسبب في وفاة ١٠٠٪ من المصابين به ويشوب النقص أدوات مكافحته، سيتم القضاء عليه في المستقبل القريب.

وقد أصبح هذا الإنجاز ممكناً بفضل الفرق القطرية التي تتفانى في عملها والمسؤولين الصحيين الملتزمين في البلدان التي يتوطنها المرض والتبرعات السخية من دوائر الصناعة والدعم المقدم من الشركاء الدوليين.

ويبدو الآن أن معدل انتشار داء الدودة الغينية قد بلغ أدنى مستوياته في التاريخ، وذلك بفضل تجديد الاستراتيجية المتبعة والعمل بالتعاون مع المسؤولين الصحيين في البلدان التي يتوطنها هذا الداء ومع مركز كارتر ومؤسسة بيل وميليندا غيتس.

ونحن نعرف أن وفيات الأطفال دون سن الخامسة بلغت أدنى مستوياتها في أكثر من ستة عقود من الزمان. وسوف نتظرون في رؤية واستراتيجية عالميتين للتمنيع وأثناء جلسة الافتتاح سنتستمعون إلى المزيد عن موضوع "عقد من اللقاءات".

وفيما يتعلق باستئصال شلل الأطفال فإننا نرى ما يشجعنا في الانخفاض الذي حدث بنسبة ٩٥٪ في الحالات في الهند ونيجيريا. ولكن هذه المهمة لم تنجز تماماً بعد ويجب أن نمضي في هذا الأمر قدماً حتى النهاية.

وبفضل آليات التمويل الابتكارية والدعم الآخر المقدم من التحالف العالمي من أجل اللقاحات والتمنيع نشهد الآن نشر اللقاحات الجديدة المضادة لأكثر مرضين يحصدان أرواح الأطفال الصغار، ألا وهما: الإسهال والالتهاب الرئوي.

ولابد من أن يستمر هذا التقدم. وأحثكم بشدة على أن تدعموا إعادة تزويد التحالف العالمي من أجل اللقاحات والتمنيع بالأموال في حزيران/يونيو.

وتتطلب الوقاية من أهم مرضين يحصدان أرواح الأطفال الصغار التشجيع على تعزيز استخدام التدخلات الأساسية التي تشجع عليها الرعاية الصحية الأولية، مثل المياه النقية والإصحاح السليم.

كما يقتضي ذلك تنفيذ التدخلات العالية المردود بصورة أفضل وأكثر تركيزاً على الطابع الاستراتيجي، مثل معالجة الجفاف عن طريق الفم والمضادات الحيوية التي يمكن إعطاؤها في المنزل والتكلمة بالمغذيات الزهيدة المقدار والاقتصار على الرضاعة الطبيعية، وكذلك بفضل شيء غاية في البساطة، ألا وهو الحفاظ على نظافة اليدين جيداً.

وبعد نحو أربعة عقود من الركود تظهر تقديرات عام ٢٠١٠ انخفاضاً كبيراً في معدل وفيات الأمومة مع تسجيل أكبر انخفاض، بنسبة ٦٠٪، في شرقي آسيا وشمال أفريقيا.

وأرى أن من العدل أن ننسب الفضل في بعض هذا النجاح على الأقل إلى الجهود التي بذلها مؤخراً عدد كبير من الدول الأعضاء وشركاء التنمية من أجل تعزيز النظم الصحية. ومع ذلك ففي منطقة أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لا يزال معدل وفيات الأمومة عالياً إلى حد لا يمكن السكوت عليه.

وقد استقطبت حتى الآن الاستراتيجية العالمية للأمين العام للأمم المتحدة بشأن صحة المرأة والطفل، والتي تم تدشينها في أيلول/سبتمبر ٢٠١٠، تمويلاً يبلغ ٤٠ مليار دولار أمريكي في شكل التزامات على مدى السنوات الخمس القادمة.

وفي إطار الأمور العديدة التي تدعم بها المنظمة هذه الاستراتيجية قامت المنظمة بوضع قائمتها النموذجية الأولى لعدد محدود من الأدوية التي تبين أنها يمكن أن تتلافى أكبر عدد من الوفيات بين الأمهات وصغار الأطفال.

إن الناس يحتاجون أيضاً إلى الرعاية العالية الجودة والميسورة التكلفة. وقد أشاد التقرير الخاص بالصحة في العالم لعام ٢٠١٠، بشأن تمويل النظم الصحية،^١ برغبة العديد من وزراء الصحة في المضي قدماً نحو تحقيق التغطية الشاملة بالرعاية الصحية.

١ التقرير الخاص بالصحة في العالم ٢٠١٠. تمويل النظم الصحية: السبيل إلى التغطية الشاملة. جنيف، منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٠.

والتقرير يزود البلدان الغنية والبلدان الفقيرة، على السواء، بقائمة خيارات لجمع الموارد الكافية والحد من عدة أسباب شائعة للهدر وعدم الكفاءة، وإزالة الحواجز المالية من أمام الفقراء على وجه الخصوص. وأتوجه بالشكر إلى حكومة ألمانيا على استضافتها الاحتفالية الكبرى التي دشنت التقرير في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي.

وفي مجال التمويل الصحي أيضاً توسع برنامج المنظمة للاختبار المسبق لصلاحية الأدوية بما يتجاوز غرضه الرئيسي المتمثل في دعم قرارات الشراء التي تتخذها وكالات الأمم المتحدة. واليوم يعمل هذا البرنامج بطريقة تتيح لصانعي الأدوية من البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل أن يصلوا إلى الأسواق شأنهم شأن صانعي الأدوية الراسخين فيها.

وقد زادت الوفرة في إمدادات المنتجات الطبية المضمونة الجودة وتحسن التنبؤ بها، وخفضت المنافسة الأسعار إلى حد بعيد، الأمر الذي غيّر ديناميات السوق فيما يتعلق باللقاحات والأدوية ووسائل التشخيص المستعملة في مجال الصحة العمومية.

وزادت القوة الشرائية للدولارات المستثمرة في التنمية، ويعني ذلك تعزيز إتاحة المنتجات الطبية للفقراء. وهذا هو دور منظمة الصحة العالمية الذي يشكل القيمة المضافة.

ونظراً لاتساع عدد الوكالات والمبادرات التي تعمل على تحسين الصحة لا يسعنا أن ننسب إلى منظمة الصحة العالمية مباشرة الفضل في تحقيق كل الانجازات التي تحققت في الآونة الأخيرة. فهذه الإنجازات هي ثمرة التعاون الجيد مع البلدان والوكالات الشقيقة في الأمم المتحدة والمبادرات الصحية العالمية وآليات التمويل العديدة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الوقفية والقطاع الخاص.

ولكن منظمة الصحة العالمية هي التي شكلت، دون أدنى شك، برنامج العمل الصحي وجمعت الخبرات والإرشادات التقنية التي مهدت الطريق للمبادرات الأخرى كي تمضي قدماً نحو تحقيق أهدافها.

واسمحوا لي عند هذه النقطة أن أعرب عن تقديري لموظفي المنظمة. فهم يثيرون دهشتي دائماً بعمق خبراتهم ومواهبهم ومهاراتهم والتزامهم. وأود أن اغتنم هذه الفرصة كي أثني عليهم أمامكم.

إن المنظمة، في كل ما نقوم به من عمل، تعتمد على خبرة المئات من المراكز الرسمية المتعاونة معها في بلدانكم، وعلى الآلاف من أفضل العقليات في مجالات العلم والطب والصحة العمومية في بلدانكم أيضاً. فهم يمنحونا وقتهم دون حساب، ولدي انطباع قوي بأنهم يفعلون ذلك بكل فخر.

إن الصحة أصبحت تحتل دون شك مكانة عليا في برنامج عمل التنمية الدولي، وذلك بفضل من سبقوني في منصبتي هذا، وأنه في هذا الصدد، على وجه الخصوص، بحضور الدكتور ماهر.

ولكن دعونا نتحلى بالصراحة. فلا شك في أن الصحة تعبر عن نفسها بوضوح وبصوت مرتفع، ولكن الأمر ينطوي على معضلة صغيرة عندما يتعلق بتحديد معالم الطريقة التي يعمل بها العالم.

إن هذا الوضع سيتغير لا محالة، وخصوصاً إذا كنا نريد أن يتراجع عبء الأمراض غير السارية الآخذ في التنامي. ولدى السعي إلى التأثير على السياسات المتبعة في القطاعات الأخرى من المفيد أن نستند إلى توصيات اللجنة المعنية بالمحددات الاجتماعية للصحة. ولكن هناك الكثير مما نحتاج إليه في هذا الصدد.

سيداتني وسادتي،

لقد اجتمعنا قبل عامين في وقت اكتنفه الكثير من عدم اليقين عندما واجهنا جائحة الأنفلونزا العالمية. وفي هذا الأسبوع سوف نتظرون في تقرير لجنة المراجعة التي أنشئت بمقتضى اللوائح الصحية الدولية من أجل تقييم أداء منظمة الصحة العالمية أثناء جائحة الأنفلونزا H1N1 ٢٠٠٩.

وقد أعربت عن ترحيبي البالغ بهذا التقرير.

وأرى شخصياً، بصفتي رئيس هذه الوكالة، أن تقييم التصدي للجائحة يلزم أن يتناول سؤالين هامين وأن يعطي عنهما إجابة حاسمة.

أولاً، هل أحسنت المنظمة التصرف؟ وهل كانت هذه الأنفلونزا جائحة حقيقية؟ وثانياً، هل كانت قرارات المنظمة ونصائحها وإجراءاتها مرتبطة بأي شكل كان بأي علاقات مع دوائر صناعة الأدوية؟

وبعبارة أخرى هل أعلنت المنظمة جائحة وهمية كي تحقق دوائر الصناعة أرباحاً؟ إن التقرير يبرئ المنظمة من الأمرين.

ومن المهم بالمثل أن التقرير يورد بعض الانتقادات البناءة ويحدد عدة أمثلة للتعاون الرائع ويصدر عدداً من التوصيات المحددة من أجل جعل العالم أفضل تأهباً لطائفة الصحة العمومية القادمة التي ستثير قلقاً دولياً.

ويجري بالفعل تنفيذ العديد من التوصيات. وأذكر بالطلب الذي قدم أثناء دورة المجلس التنفيذي في كانون الثاني/يناير من أحد ممثلي بلدان الاتحاد الأفريقي الثلاثة والخمسين من أجل تسريع تعزيز القدرات الأساسية لتنفيذ اللوائح الصحية الدولية.

وأود في هذا الصدد أنؤكد لكم أنني جعلت ذلك ضمن أولوياتي القصوى.

سيداتني وسادتي،

إن بوسعنا جميعاً أن نفخر بهذه الإنجازات، وخصوصاً عندما ننظر بعمق إلى العقبات العديدة التي نواجهها اليوم.

وإذا ما نظرنا إلى ما بدأ به هذا القرن من إرادة طيبة والتزام وابتكار جيدين من أجل تحقيق المرامي الإنمائية للألفية فسنجد أن أي شكل من أشكال الرضا عما تحقق عند هذه النقطة ستكون له عواقب وخيمة. وأعني حرفياً: أنه ستكون له عواقب وخيمة على الناس الذين نجتمع هنا من أجل خدمتهم.

إننا نمر بأوقات عصبية والتحديات آخذة في التعقيد أكثر فأكثر.

وأنا أشير إلى أزمة الغذاء والوقود، وعلى الأخص الأزمة المالية التي حدثت في عام ٢٠٠٨ والتي تبين أنها تنتقل بسرعة ودون هوادة لتصيب البلدان التي لم يكن لها أي يد في حدوثها.

وأود أيضاً الإشارة إلى آثار تغيّر المناخ على الصحة والتي يشعر بها الناس في جميع أنحاء العالم الآن.

كما أشير إلى العقبات التي نجدها في طريقنا من جرّاء سياسات توضع في قطاعات أخرى، وخصوصاً تلك التي تساعد على زيادة الإصابة بالأمراض غير السارية المزمنة.

لقد كاد منتصف هذا العام أن يمر. وشهدنا بالفعل تصاعداً غير مسبوق في النكبات والكوارث وفي الأزمات الإنسانية.

ونحن نشهد موجات من الاعتراضات والاضطرابات الاجتماعية، حيث نجد السكان المدنيين وهم يتضررون مجدداً، وغالباً في ظل ظروف تجعل حصولهم على المعونة الإنسانية، بما فيها الرعاية الطبية للمصابين، أمراً بالغ الصعوبة.

إن الألم يعتصر قلوبنا جميعاً عندما نطلع على التقارير الخاصة بالاعتداءات التي يتعرض لها العاملون الصحيون والمرافق الصحية في بعض أوضاع النزاعات هذه. ونحث الأطراف كافة على أن تضمن الحماية للعاملين الصحيين والمرافق الصحية في أوضاع النزاعات كي يتمكنوا من توفير الرعاية للمرضى والمصابين.

كما أننا نشهد زيادة مقلقة في عدد النساء والأطفال من ضحايا النزاعات المسلحة. ونحن ندين هذه الأحداث بأقوى العبارات وننادي بوضع حد للاعتداء الجنسي على النساء والأطفال.

وفي آذار/ مارس ضربت اليابان بثلاث مآسٍ مجتمعة هي هزة أرضية بقوة ٩ درجات وأمواج تسونامي ضخمة، وما ترتب على ذلك من وقوع حادثٍ في إحدى محطات الطاقة النووية.

وأعرب عن بالغ تعاطفنا مع شعب اليابان الذي نُكب بفقدان عدد هائل من الأرواح وتعطلت أسباب رزقه وتشردت أعداد غفيرة من سكانه.

إن كل هذه الأحداث تأتي في مقدمة ما تعلمناه من العقد الماضي عن أخطار الحياة في عالم يزداد ترابطاً إلى حدٍ بعيد.

ودون أية أوامٍ ليست هذه الأزمات العالمية مجرد نكسات وصدمات في دورة الصعود والهبوط في تاريخ البشر.

ففي منتصف نيسان/ أبريل من هذا العام ذكر البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن أسعار الغذاء والوقود التي بلغت مستويات فلكية هي أشد الأخطار الفورية المحدقة بالبلدان النامية، وحذرا من أننا يمكن أن نفقد جيلاً كاملاً من الفقراء.

سيداتني وسادتي،

إننا في منظمة الصحة العالمية حصلنا على نصائح خبراء خارجيين بأن نقبل الأزمة المالية لا على أنها مجرد اضطراب مؤقت يمكن التغلب عليه باتخاذ تدابير مؤقتة ولكن على أنها بداية عصر جديد ومستمر من النقش. وقد أخذنا بهذه النصيحة.

فنحن نتعامل مع هذا الوضع المالي بطريقة حذرة ورشيقة ودقيقة ومخططة. وقد اتخذت عدة تدابير لتحقيق وفورات في التكاليف مباشرة بعد الأزمة المالية التي حدثت في عام ٢٠٠٨. وعلينا أن نقلل من بعض مجالات عملنا التقليدية بكل أسف شديد ولكن أقولها بكل تأكيد إننا لم نشهر إفلاسنا.

وأنا أعلم أن هذا الوضع ألحق الضرر بالكثير من الجهات المانحة التقليدية التي نعتمد عليها. وهذا العصر من النقش قلل الأموال المتاحة للبرامج الصحية المحلية وللمساعدات الإنمائية الرسمية.

وعلى خلفية هذه الاعتبارات اسمحوا لي أن أعرب لكم عن الامتنان لما قمتم به. وعلى الرغم من كل العقبات والأوضاع الاستثنائية ظلت أنشطة الصحة العمومية في مسارها إلى الحد الذي كان يظنه الكثيرون مستحيلاً.

سيداتني وسادتي،

اسمحوا لي أن أشير إلى بعض الإنجازات الحديثة التي اعتبرها شخصياً إنجازات كبيرة وتمنحنا الأمل.

فخلال الأسابيع القليلة الماضية توصلت الدول الأعضاء إلى اتفاقات تاريخية على مسائل تعزز دفاعاتنا الجماعية وتحدث طفرات في التغلب على مشاكل قديمة.

وفي ١٧ نيسان/ أبريل، وعقب مفاوضات دامت ليل نهار، اتفقت البلدان على مجموعة استراتيجيات لتحسين التأهب لجوائح الأنفلونزا وتبادل الفيروسات وإيصال فوائد الأدوية واللقاحات الجديدة إلى العالم النامي.

وكما يعلمه كثير منكم فإن المفاوضات كانت مستفيضة ومطولة وقد بدأت في عام ٢٠٠٧ واقتضت عقد ١٤ من الاجتماعات والمشاورات وأفرقة صياغة والأفرقة العاملة المختلفة. وفي النهاية كتب النجاح للثقة والدبلوماسية، وكذلك كما أعتقد لاحترام القضايا المطروحة. وأود أن أنوه بالعمل القيادي الرائع الذي اضطلع به الرؤساء والرؤساء المشاركين من الدول الأعضاء الثلاث، ألا وهي أستراليا والمكسيك والنرويج.

وفي ٢٩ نيسان/ أبريل عمل المشاركون في المؤتمر الوزاري العالمي الأول المعني بأنماط الحياة الصحية ومكافحة الأمراض غير السارية، عملاً دؤوباً من أجل التفاوض على العمل الأساسي والتحضير لإصدار إعلان موسكو بشأن هذه القضايا.

وأرى أن اللقاء الذي عُقد في موسكو أرسى أساساً راسخاً لاستمرار المفاوضات في أيلول/ سبتمبر حيث سينعقد أول اجتماع رفيع المستوى بشأن الأمراض غير السارية المزمعة أثناء الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ولاشك في أن هذا الحدث سيحقق نتائج. فزيادة الإصابة بهذه الأمراض توجه ضربتين قويتين للاقتصاد والمجتمع. وتتسبب في فقدان مليارات الدولارات من الدخل القومي، وتدفع بملايين البشر إلى الوقوع في دائرة الفقر كل عام.

وتحقق الإنجاز الكبير الثالث في ٣ أيار/ مايو عندما توصلت اللجنة المعنية بالمعلومات والمساءلة عن صحة المرأة والطفل إلى اتفاق، بروح استثنائية من الإصرار والحلول الوسط مجدداً. وقد استكملت اللجنة تقريرها النهائي بعد أقل من أربعة شهور من انعقاد أول اجتماع لها.

وما كان لهذا الإنجاز أن يتحقق بهذه السرعة لولا العمل الرائع الذي اضطلع به الرئيسان المشاركان، ألا وهما السيد كيكويوتي رئيس تنزانيا، والسيد هاربر رئيس وزراء كندا، وزميلي نائب الرئيس، الدكتور توري الأمين العام للاتحاد الدولي للاتصالات، والمفوضون من بلدانكم، بدعم من فريقين عاملين ممتازين.

ووافقت اللجنة على ١٠ توصيات مع المؤشرات المرتبطة بها، للمساعدة على ضمان أن يُنفق المبلغ المتعهد به لدعم الاستراتيجية العالمية لصحة المرأة والطفل، وقدره ٤٠ مليار دولار أمريكي بأكبر فعالية ممكنة، وأن يخضع المانحون والمستفيدون من المنح للمساءلة في هذا الصدد.

ويربط التقرير بين المساءلة عن الموارد وبين ما تحققه هذه الموارد من نتائج وحاصل وآثار، كما يربط بينها وبين قدرة البلدان المستفيدة على تقييم هذه النتائج.

ويقوم التقرير هذه الروابط بطريقة ذات قيمة مضافة. وتستند التوصيات، حيثما أمكن، إلى الآليات والقدرات القائمة وتعززها. ويقصد بالمساءلة الحساب، ويتوقف ذلك على وجود نظام لتسجيل المواليد والوفيات وأسباب الوفاة في جميع البلدان.

سيداتى وسادتى،

بما أننا نتذكر الناس، وخاصة النساء والناس في أفريقيا، فلدي تعليق أخير أود أن أدلي به.

فينبغي أن يتضح من كل ما قلت أن أنشطة الصحة العمومية تجري في عالم يتسم بتعقيد هائل ودائم التغير.

وعندما كانت منظمة الصحة العالمية تتعامل أساساً مع مسائل الجراثيم والتصحح والأدوية واللقاحات والقطاعات الشقيقة، مثل إمدادات المياه والإصحاح، كانت وظيفتنا أكثر مباشرة بكثير. لكن هذه الوظيفة تغيرت تدريجياً مع مرور الوقت، ثم تغيرت تغيراً ضخماً في العقد الماضي.

لذا فمن الضروري إجراء إصلاحات. وتعتمد المنظمة الآن إلى إجراء أوسع إصلاحات تنظيمية وإدارية ومالية، ولاسيما فيما يتعلق بالمساءلة المالية، على مر تاريخها الممتد ٦٣ عاماً.

وفي ظل ظروف هذا القرن الحادي والعشرين الجديدة جداً، لدي رؤية تجعل هذه المنظمة تعطي شركاءها العديدين في مجال الصحة ثقلاً أكبر وتشجعهم في الوقت ذاته على أن تكون كلمتهم موحدة لكي يلبوا، أولاً وقبل كل شيء، الاحتياجات والأولويات على النحو الذي تحدده البلدان التي تستفيد من أنشطتهم.

وأرى المنظمة وهي تواصل التميز، وتتمتع بالكفاءة والفاعلية والقدرة على الاستجابة والموضوعية والشفافية، والخضوع للمساءلة.

وأرى المنظمة وهي تحشد المعونة الإنمائية الأنجع التي تبني قدرات البلدان كي تمضي قدماً في سبيل الاعتماد على أنفسها. فهذه البلدان تحتاج إلى يد معينة لا إلى يد مسرفة.

وأرى المنظمة تواصل الميل في الكثير من عملها إلى إشباع الاحتياجات العديدة غير الملباة في أفريقيا وغيرها من الأماكن، وإلى تمكين النساء والفتيات كي يتمتعن بالصحة والتعليم الجيد والثقة في النفس.

وأراها منظمة جديدة تعمل مع القطاعات الأخرى على مواجهة المخاطر المحدقة بصحة المجتمعات واستقرارها، كما أراها منظمة جديدة تجتمع فيها كل البلدان، صغيرة كانت أم كبيرة وغنية كانت أم فقيرة، للذود عن الإنصاف والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

أصحاب السعادة، معالي الوزراء، الزملاء، الأصدقاء، سيداتي وسادتي،

إنني أدعوكم إلى أن تتضموا إلي في هذه الرحلة التي قوامها التوكيد والاستذكار والإصلاح والإحياء!

تذكروا الناس.

= = =